

هل للتاريخ فائدة أم إنه مجرد تنشيط للذاكرة!

وماذا يعنيننا في التاريخ؟ وما الذي نستفيد منه من كلام الماضي؟ "ذلك هو رد أغلب الناس".

لقد تعددت تعاريف التاريخ عند المؤرخين القدامى، ولم أجد له تعريف ثابت أو محدد، فقد عرّفه ابن خلدون بقوله "فن التاريخ فن عزيز المذهب، جم الفوائد، شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم، في أخلاقهم والأنبياء في سيرهم والملوك في دولهم وسياستهم، حتى تتم فائدة الإقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا".

نستطيع القول أن التاريخ يعد سجلاً لحفظ حضارة الشعوب من الاندثار، وعبره للأجيال، فلولا التاريخ ما استطعنا الحفاظ على الحضارات السابقة وتخليدها، للاستفادة منها وعدم الوقوع فيها أخطاءً فيه السابقون، وهو وسيلة لحفظ الأنساب وتسجيل البطولات، وقيام الدول وسقوطها، فكيف يمكننا أن نقيم الحضارات ونسجل الانتصارات دون أن يكون لها ذيل من الماضي، فالحضارات متتابعة تقوم بعضها على أنقاض بعض.

"إن سماع التاريخ أعظم التجارب" مقولة لأشهر سلاطين المماليك، الظاهر بيبرس قاهر المغول ومحطم الصليبيين.

إن دراسة تاريخ الحضارة الإسلامية عبر العصور وكيف ازدهرت وانتشرت، وكيف انتهى بها الحال، يقودنا إلى معرفة نقاط ضعفنا لتتداركها، ونقف على أسبابها ونضع لها الحلول، ولا نكررها، وكيف نستطيع الثبات في وجه عصر منفتح، لا يقيم لنا وزناً، كيف نستطيع الأخذ منه دون أن يسلبنا هويتنا وثقافتنا.

يحكي لنا التاريخ كيف عاش الأنبياء والرسول، العلماء، القادة والزعماء، عامة الناس، يروي لنا أوصافهم، أخلاقهم، كيف كانت حياتهم وكيف بنوا حضارتهم ومجدهم.

نستطيع الإقتداء بهم دون غلو أو مبالغة، نعيش بأخلاقهم في زماننا وليس زمانهم، فتلك النماذج ليست تماثيل ولا صور.

نستطيع أن نربي أبنائنا ونغرس فيهم تلك المثل العليا، بتعريفهم بتاريخنا، نجد لهم منهجاً مناسباً متطوراً يحوي ذلك التاريخ ويجاري العصر، وليس مجرد حبر على ورق.

قَالَ تَعَالَى "وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَّوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ". (آل عمران: ١٤٠)

بقلم

ريهام عبد الله المستادي

ماجستير تاريخ إسلامي مملوكي

محبرة بجريدة المدينة - جدة

المملكة العربية السعودية

riham_almistadi@hotmail.com